

دراسة مقارنة بين بواعث المهجاء في الادب العربي و الفارسي

نصرالله شاملی^١

تاريخ الوصول: ١٤٢٥/١٠/٢٠

تاريخ القبول: ١٤٢٧/٣/٢٣

المهجاء طبيعة في نفس البشرية وهو مستمر في كل عصر وفي كل مكان مادام الناس يتفاوتون جهالاً وقبحاً وكمالاً، وهو أثر من آثار حب الانتقام والأخذ بالثأر في القرون الأولى في حياة الناس، وقد دخل التراشق بالسباب والألفاظ محل التراشق بالسهام والنبال.

هذه المقالة تبحث عن مقارنة بواعث العامة للمهجاء في الأدبين العربي والفارسي، وتشير إلى البواعث المشتركة فيهما والمنفردة لكل منهما.

تترك هذه المقالة المقارنة الزمنية للمهجاء لأن المهجاء قديم في الشعر العربي منذ الجاهلية في حين لا نعثر على الشعر عامة والمهجاء خاصة في الأدب الفارسي إلا في القرن الرابع الهجري وما بعده.

الكلمات الأساسية: المهجاء، الأدب، الفارسي، العربي، البواعث.

١. استاذ مساعد بجامعة اصفهان، عضو الهيئة التدريسية في قسم اللغة العربية

الهجاء لغة و اصطلاحاً

الهجاء طبيعة في نفس البشرية و هو مستمر في كل عصر وفي كل مكان ما دام الناس يتفاوتون جمالا وقبحا وكمالا، وهو اثر من اثار حب الانتقام والاخذ بالثأر في القرون الاولى في حياة الناس وقد حل التراشق بالسباب والالفاظ محل التراشق بالسهم والنبال وهو امر ثابت في طبيعة الانسان في كل زمان وفي كل مكان وبيئة.

«الهجاء، أو المهجو، هو غرض من أغراض الشعر، يقوم على تقييح صورة فرد، أو جماعة، أو عادة من العادات، أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود، وهو تعبير عن إحتقار الشاعر للمهجو، والرغبة في الخط من شأنه، والهزء به، ومسخه ما أمكن الى ذلك سبيلا»^١.

إصطلح الناس منذ القدم على أن الهجاء هو فن الشتم والسباب، وهو تقيض المدح كما يقول قدامة^٢، هذا التعريف واضح لا يحتاج الى شرح.

الهجاء لغة من هجا- فلانا هجوا وهجاء: ذمه وعدد معاييه ويقال: المرأة تهجو صحبة زوجها، والهجاء: السب وتعدد المعاييب و يكون بالشعر غالبا^٣. والواقع ان في المادة معاني اخرى هي اقرب لان تكون اصلا للمعنى الادبي، مادة الهجاء واوية يائية كما قال ابن سيدة و نقله عنه صاحب اللسان^٤ ونحن نجد من تصاريف هذه المادة اليائية في المعاجم قولهم: هجى البيت: انكشف وهجيت عين البعير: غارت^٥. ومن المادة الواوية هجو يومنا: اشتد حره. وهجوت الرجل: شتمته بالشعر وهو خلاف المدح والمجاة والماجة: الضفدع^٦.

نحن لا نستطيع ان نرجح معنى من هذه المعاني على انه اصل للمادة فقد يكون الهجاء بمعناه الادبي ماخوذا من الضفدع فهو قبيح الشكل، شنيع الصوت و فقد يكون متصلا بمعنى الشدة والحارة التي يحسها المهجو حينما يسمع كلام الهاجي او بما فيه من التعذيب والتنكيل. وقد يكون ماخوذا من الاصل اليائي فهو يكشف عن سيئات المهجو ويجرده من

الفضائل. على كل حال معاني الهجاء تدور حول البشاعة والشدة والتعذيب والكشف.

وايضا نجد في بعض المعاجم قولهم: هجاء غرثه وجوعه اى اسكن^٧، كان الهجاء يسكن الآم الهاجي.

كان الهجاء عند العرب في العصر الجاهلي يقوم على نوعين، فردي و قبلي. يقوم الهجاء الفردي على تجريد المهجو من الفضائل والمثل الجاهلية مثل الكرم والشجاعة والفروسية واغاثة الملهوف و... . والهجاء القبلي يعتمد على الدفاع عن القبيلة.

ظل الهجاء في صدر الإسلام سائداً و ذلك للدفاع عن النبي ضد الاعداء وفي العصر الاموي ازدهر هذا الفن بعودة العصبية القبلية وكثرة الاحزاب السياسية واخذ اصحاب كل حزب يهجون اعداءهم.

في العصر العباسي شاع الهجاء بأنواعه السابقة اضافة الى انه اتخذ طابعا آخر، اذ إن العصبية القبلية قد ضعفت لتحل محلها العصبية القومية. وفي العصر الحديث إضمحل الا في بعض النواحي السياسية.

اما الأدب الفارسي فاكثر النقاد يذهبون الى أن الشعر الفارسي اتضحت معالمه في القرن الرابع. وفي القرون الاولى اشعار كثيرة و تلك التي وصلت الينا في كتب التذاكر قليلة، واكثرها مجمولة لايعرف قائلها ومن الطريف ان موضوع هذه الاشعار يدور حول الهجاء مثل ما اثر عن يزيد بن مفرغ في هجو آل زياد:

آب است و نبذ است

و عصارات زبيب است

و دنه فربي و بي است

وسميه رو سپيد است^٨

يقول الشاعر أرى في مجلس الشراب ماء و شراباً و نبذاً و عصارات الزبيب وكذلك أرى فيه امرأة زانية وهي سمينة.

ظل الهجاء سائداً في القرن الرابع وكان هجاءً فردياً خلقياً، بعيداً عن الفحش والافذاع، قريبا من الواقع، كان ينظر الهجاء الى الطبقات السفلى من المجتمع.

حماية الجار و الاستسلام للمهاجرين من الاعداء والقعود عن
الثار و لم يتأثر بالمثل الجديدة الا قليلاً .

اثر هذا العامل بارز في شعر شعراء الشعوبية والفرق
والمذاهب التي أوجدها الدين خاصة في العصر العباسي نحو ما
قال ابونواس في هجو البرامكة حيث يقول:

إني لـولا شقاء حدي

ما مات موسى، كذا، سريعاً

ولا طوئته المنون حتى

أرى بني برمك جميعاً

هذا زمانُ الفروُدِ فاحضَعْ

وكن لهم سامعاً مطيعاً

كأنهم قد أتى عليهم

ما غال يعقوب والريبعاً^١

النزاع العقلي والديني و الفلسفي كان الباعث الاول لما
نشهده في قصائد بعض الشعراء العباسيين من ميل الى الجهر
بالكفر، والتظاهر بالجون و هجاء رجال الدين، أنظر ما يقول
المعري في هجاء رجال الدين:

و قد فتشت عن اصحاب دين

لهم نسك و ليس لهم رياء

فالفيت البهائم لا عقول

تقيم لها الدليل و لاضياء

و إخوان الفطانة في احتيال

كأنهم لقوم انبياء

فاما هؤلاء فاهل مكر

وأما الأولون فأغنياء

فإن كان التقي بلهاً وعياً

فاعيار المذلة أتقياء^١

فإن سخطه يشمل المتدينين و غير المتدينين، فالمتدين أبله
موصوم بالرياء، وغير المتدين ماكر يملوه الكبر و الغرور.

في القرن الخامس لم نعثر على شيء جديد من الهجاء فقد
تناول الشعراء نفس المعاني التي كانت متداولة في القرن الرابع.

إزدهر الهجاء في القرن السادس والسابع وشاع الهجاء
بجميع انواعه من الفردي والجماعي والخُلقي والخُلقي والفاحش
والعفيف والسياسي والديني

إتخذ الهجاء في هذا العصر طابعاً جديداً و هو القصائد
المطولة في ذم طبقات الناس او في ذم مدينة وقد سمي «شهر
أشوب».

البواعث المشتركة في الادبين

هناك بواعث أدت إلى تطوّر شعر الهجاء في الادبين (بعضها
مشتركة بينهما و بعضها تختلف عن الاخرى).

١- الدين

الباعث الذي صاحب ظهور الاسلام هو الدين، على نحو ما
تأثر المديح بالاسلام تأثر الهجاء، اذ اخذ الشعراء يهجون
خصومهم بانحرافهم عن الدين، فأطالوا في وصفهم بالفسوق
والبغي والطغيان . فقد جاء في السيرة النبوية ان الرسول طلب
الي شعراء المدينة ان يعينوه بأهائجهم في قريش، و يروي انه
قال لحسان بن ثابت الانصاري و قد اخذ في هجاء القريشيين
«شعرك اشد عليهم من وقع النبل». ادرك النبي قيمة هذه
الحرب الكلامية وما تترك من أثر في نفوس الناس، و صار
الهجاء و القتال متلازمين في نشر الدعوة، كما يقول حسان:

لنا في كل يوم من معد

سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافي في هجانا

و نضرب حين تختلط الدماء^٢

وقد كان اثر هذه العناية بالدين واضحاً في نمو فن الهجاء
ولكنه لم يترك أثراً واضحاً في أسلوب هذا الفن فقد ظل كما
كان جاهلياً، معتمداً على الأنساب، خمول الذكر، العجز عن

وصل الجدل الديني في الادب الفارسي إلى أشده بين الفرق الاسلامية، وكان من نتائج هذا الجدل الديني اشتغال الناس بامور متعددة وظهور آراء دينية جديدة فيها شيء من الغرابة وانقسام الناس بين المذاهب المختلفة و تعصبهم لها. وهذا التعصب الديني جعل الشعراء يتهمون مهجويهم بحمايتهم لفرقة منبوذة في المجتمع. لهذا نرى الخاقاني يتهم استاذہ اباالاعلا كنجوي بالمذهب الاسماعيلي:

بيني سگ گنجہ را در اين کوي آن

هم سرخ قفا و هم سیه روی چون
ملحد بوالعالي سافل

وحش وبهيمه غفل وغافل

آن جاحظ وقت را بدي خواه

آن جاحد دين اباده الله

بطريق زمانه باب بطروس

صد ره به از اين جحود منحوس

خواهيش جهود ملحدان خوان

وز خواهي ملحد جهودان

گويد که حسن پيمري بود

کيال بزرگ مهتري بود

گويد که محمد اي برادر

بد مرد حکيم کيمياگر

انک احمد را حکيم دانند

خاقاني را بين چه خواند

گويد که رسول بود فاجر

در پور علي چه گويد آخر

صبح نشد اين لعين بي دين

ما نا که نماند اهل قزوين^{۱۲}

يقول: نرى أن الخاقاني يتهم أستاذه أبا العلاء الكنجوي وهو معتقد بالمذهب الاسماعيلي ويخاطبه بكلب قبيح المنظر، ثم وصفه بحيوان وحشي غافل، طالب الشر، يطلب الشر للمحافظ

العصر والزمان (والمراد نفس الخاقاني الحكيم) وهو الذي ينكر الدين، فأباده الله بطريق زمانه باب بطرس، وكل طريق خير من طريق هذا الجاحد المنحوس.

إن شئت فسمّ يهودياً بين الملاحدة و إن شئت فسمّ ملحداً بين اليهود، هو يقول إنّ حسن الصباح كان نبياً و كان في رتبة الجلال و العظمة كيّالاً كبيراً. هو الذي يقول حول شخصية نبينا محمد (ص) إنّّه كان حكيماً كيميائياً و الذي اعتقد بأنّ محمداً (ص) كذلك، ماذا يقول حول شخصية الخاقاني نفسه؟ هو الذي يقول، إنّ رسول الله (ص) كان فاجراً!!! فانظر ماذا يقول حول شخصية أولاد علي (ع) فلا يكون هذا الملعون كمثل حسن الصباح و لا يكون هذا كمثل أهل قزوين.

ويهجو سوزني السمرقندي شاعراً اسمه النظامي:

اي نظامي کلکي بي سر و بي ساماني

به نغوشاک و جهود و مغ و ترسا ماني

خسر ساماني با تو به نسب کوس نزد

به چه معني لقب خویش کني ساماني

پدر تو بره اي يافت به ترکي بفروخت

ترک سامان در او کرد شد ساماني^{۱۳}

يقول : يهجو السوزني السمرقندي النظامي الشاعر فيخاطبه بأنك فاسد وأنت أشبه بالجوس واليهود والنصارى من المسلمين، إنّ حمار السامانيين لا يرضى أن يكون منسوباً بك (أو تكون من أقرباء النسبية) فلماذا تسمّي لقبك سامانياً؟ وجد أبوك غنماً فباع الغنم واشتره أحداً من الأتراك فتركه وانصرف عنه فصار سامانياً.

ناصر خسرو — وهو شاعر من شعراء القرن الخامس —

يهجو الفقهاء والواعظين بقوله :

بر سر منبر سخن گوید مر اوباش را

از بهشت و خوردني حيران همي زين سان کنند

بانک بردارند و بخروشند بر اميد خورد و نگويي

چون حديث جو کني بي شک خران افغان کنند

جاي خورد و كردني باشد بهشت

برتوازششم وسفاهت چشم چون پيكان كنند^{١٤}
يقول : الفقيه (الواعظ) يعظ الناس (أوباشهم) ييشرهم
بالأكل الدائم في الجنة وحيّرهم بأكلها ولذاتها ورغد عيشها
فإن سفلة الناس إذا سمعوا كلامه ينادون ويصرخون رجاءً لوفر
العيش، كما إذا حدثت عن الشعر وهو طعام الحمير، تصرخ
بلاشك وإذا قلت إن الجنة لا تكون مكان الأكلة واللذة المادية
يغضونك كأنهم يرمونك بسهام أعينهم.

٢- السياسة

الباعث الذي ظهر في العصر الأموي هو السياسة، عرف
معاوية و خلفاؤه ما للشعر من أثر في نفوس الناس وحرصوا
على أن يجمعوا حولهم أكبر قدر ممكن من الشعراء وأصبحت
السياسة الحزبية حرفة يتكسب بها الشعراء، وقد أعان التشجيع
من جانب الخلفاء و الزعماء و الطمع من جانب الشعراء على
استفحال المهجاء السياسي.

«كان المهجاء وسيلة من وسائل بث الدعوات و توطيد
الملك وما اشبه خاصة في حروب الردة بعيد موت النبي وفي
التنازع على السلطة بعيد مقتل عثمان^{١٥}».

من اروع ما يصور المهجاء السياسي نقیضة الاخلل
المشهوره :

خف القطین فراحو منك أو بكروا

و أزعجتهم نوي في صرفها غير^{١٦}
وهو يمزج المدح فيها بالمهجاء ويرفع من قدر الامويين
معرضاً بأعدائهم من القيسية، مباھياً بمشاركة قبيلته في اقرار
الخلافة. نجد في هذه الفترة هجاء الشيعة الذي غلب عليه الحزن
والرثاء، لكثرة من قتل منهم ولشدة ما وقع عليهم من ظلم
واضطهاد، وهجاء الخوارج الذي تمثلت فيه الفدائية والاخلاص
للمبدأ الى حد الموت والفناء، وهجاء الولاة في الاقاليم،
يعارض سياستهم وينقد تصرفاتهم وهذا المهجاء مختلط بالمهجاء
الاجتماعي.

أخذ المهجاء السياسي في العصر العباسي طابعاً شعوبياً عند
بعض الشعراء نحو بشار.

هذا المهجاء منصب على النظام الحاكم و الحكام و نقد
سياستهم و اتهمهم بمفاجأة الدين والخروج على الشرع فيما
يفعلون، يهاجم عبدالله همام السلولى في مبايعة معاوية لابنه
يزيد، نظام الوراثة الذي استحدثه معاوية، قائلاً إنها كسروية
ليست من الاسلام في شيء:

فلإن تأتوا برملة او بهند

نبايعها أميرة مؤمنينا

إذا ما مات كسرى قام كسرى

نعد ثلاثة متناسفينا

فيا لهفا لو أن لنا ألـوفاً

ولكن لانعود كما عينا

إذا لضربتو حتى تعودوا

بمكة تلعقون بما السخينا

حشينا الغيظ حتى لو شربنا

دماء بني أمية ما روينا

لقد ضاعت رعيتركم وانتم

تصيدون الأرانب غافلينا^{١٧}

وبعض هذا المهجاء منصب على الحكام، ونقد سياستهم
واتهامهم بمفاجأة الدين والخروج على الشرع فيما يفعلون. من
هذا النوع شعر عتبة الاسرى في هجاء معاوية، يتهمه بالشره
في جمع المال، وبافساد أمر الناس وتأمين الأراذل والعبيد:

معاوي إننا بشر فأسجح

فلنسنا بالجبال ولا الحديد

اكلتم أرضنا وجذذتمونا

فهل من قائم او من حصيد

فهنا امة هلكت ضياعاً

يزيد أمـيرها وأبو يزيد

أنطمع بالخلود إذا هلكنا

وليس لنا ولا لك من خلود

ذروا حول الخلافة واستقيموا

وتأمين الأراذل والعيبد^{١٨}

ونحو قول بشار:

بني امية هبوا طال نومكم

إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم، يا قوم، فالتمسوا

خليفة الله بين الزق و العود^{١٩}

قال بشار هذين البيتين هجاء للمهدي واستفزازاً له على وزيره يعقوب بن داود وتحريضاً لبني امية على استرجاع ملكهم.

يهجو دعبل المعتصم بقوله:

... ملوك بني العباس، في الكتب سبعة

ولم تأتني، عن ثامن لهم، كتب

كذلك أهل الكهف، في الكهف سبعة

خيار اذا عُذّوا وثامنهم كلب

وإني لاعلي كلبهم عنك رفعة

لأنك ذو ذنب، وليس له ذنب^{٢٠}

استفحل الهجاء السياسي في الادب الفارسي في القرن

الخامس وما بعدها، نطالع في دواوين الشعراء الايرانيين ما يرتبط بهجاء الدولة والحكام وفسادهم وسوء تدبيرهم وظلمهم وبخلهم في اعطاء الصلة، و... منهم: منجيك، الفردوسي، ناصر خسرو، السنائي، سعدي الشيرازي، حافظ الشيرازي، ابن اليمين، عبيد الزاكاني، اوحالدين المراغي وسيف الفرغاني و... .

يقارن منجيك بين حكام عصره وبين الحكام السابقين هائجاً ويقول:

همه تفاخر آنها به وجود و دانش بود

همه تفاخر اينها به غاشيه و جناح^{٢١}

يقول: هؤلاء يتفاخرون بالجود والعلم وآخرون يتفاخرون

بسرج الخيل وجناح الجيش وقلبه ويمينه ويساره.

ويهجوهم ايضا لبخلهم في اعطاء الصلة:

ای مجلسیان حضرت شاه

دریای شما نهنگ دارد

از هر خدا مرا بگویند

تا نان شما چه رنگ دارد^{٢٢}

يقول: يخاطب الشاعر من تعلق ببلاط الملك ويقول لهم، بحركم صاحب الحوت (والمрад مثل هذا المثل أن الذي تعلق ببيتوتكم فإنه في معرض الأخطار الموحشة ومواجهة بالخطرات العظيمة).

فقولوا لي خالصاً لوجه الله ما لون خبزكم؟ يعني إنه بسبب البخل الشديد الذي يرى حكماً صاحب الجلال والجبروت ويرى رغد العيش في معيشتهم يستل منهم ما هي مائدتكم وما فيها من الأغذية والأشربة؟ إنه بسبب الفقر الشديد وعدم الأكل القانع عنده، يرمى الحكام البخلاء الذين يتعلقون ببلاط الملوك بعدم الإنفاق على فقراء المعترّين.

وهجو الفردوسي لمحمود الغزنوي هو رد فعل سياسي وعقائدي:

از این در سخن چند رانم همی

چو دریا کرانه ندانم همی

به نیکی نبد شاه را دستگاه

وگر نه مرا بر نشاندی به گاه

چون اندر تبارش بزرگی نبود

ندانست نام بزرگان شنود^{٢٣}

يقول: كلما أقول للملك من معاييه أو قبائحه، فهو قليل لا حدّ له، ثمّ يستمر قائلاً: إنّ للملك شأن عظيم يرحّبني ويحبّيني بالقرى وعلوّ الدرجات، فإن لم يفعل كذا وكذا فهو دالّ على أنّه لم يكن من الأسر الأصيلة حتى يسمع كلامي.

ولعل من اروع ما قيل في هذا النوع من الهجاء قول ناصر خسرو في ذم الخلفاء العباسيين وامير خراسان، حيث يقول:

چون به بغداد فرود آیی، بیش آرد

دیو عباسی، فرزند به قربانی^{٢٤}

والسنایی شاعر القرن السادس في قصيدة شكوائية، يصف
الامراء والحكام بالظلم والفساد والشهوة:
مرد هشيار در اين عهد کم است
ور کسی هست به اين متهم است
زیرکان را ز در عالم و شاه
وقت کُرم است نه وقت کرم است
پادشاه را ز بی شهوت و آز
رخ به سیمین برد سیمین صنم است
امرا را ز بی ظلم و فساد
دل به زور و زر و خیل و خشم است^{۲۷}

يقول: الرجل الذكي الكيس، فهو قليل جداً في هذا
العصر، إن كان عدداً قليلاً فهو متهم بالذكاوة والكياسة، إن
كان رجلاً ذكياً، فهو يذوق طعم الألم والمصيبة من بلاط
الملوك والأكابر، مكان السخاء والجود. إن الملوك رغبوا في
محبوباتهم الجميلة من الباكرات ومن النساء ولا يلتفتوا لشيء
آخر. هذا عمل الملوك شهوتاً وحرصاً في الدنيا كما يكون
عمل الأمراء والحكام في الظلم والفساد وقلوبهم تميل إلى الخيل
والحشم والقدرة والذهب والجبروت.

۳- الاجتماع

العامل المشترك في بواعث الهجاء في الادبين الفارسي والعربي
هو العامل الاجتماعي الذي هو سبب الهجاء الاجتماعي وهذا
النوع من الهجاء لا يصور معارضة حزبية، ولكنه يصور سخطاً
على النظم الاجتماعية السائدة.

هياً استعار العصبية القبلية لاشتعال الهجاء في العصر الاموي
كما هياً لنمو فن النقائض نمواً واسعاً وقد اعدت لهذا النمو
عوامل كثيرة. منها العامل الاجتماعي، فمردها - كما يقول
شوقي ضيف -: «الى حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة الى
ضرب من الملاحى يقطع به الناس اوقاتهم الطويلة ... أخذت

يقول: حينما نزلت ببغداد فإن أمير خراسان يعتقلك ثم
يسلمك إلى الخليفة العباسي ليقتلك.
او يهجو امير خراسان ويشبهه بالذئب والشيطان ويشبه
حيشه بجيش الاغوال:
گرگی تو نه میر مر خراسان را
سلطان نبود چنین تو شیطانی
دیو است سپاه تو یلی، لیکن
تا ظن نبری که تو سلیمانی لیکن
در قصد نیت همه بدی داری
چه کنی که سخت خلقانی^{۲۸}

او هجو خواجو کرمانی امیراً ظالماً:
روزی وفات یافت امیری در اصفهان
ز آنها که در عراق به شاهی رسیده‌اند
دیدم جنازه بر کتف تونیان و من
حیران که این جماعت از این تا چه دیده‌اند
پرسیدم از کسی که چرا تونیان شهر
از کارها جنازه کشی بر گزیده‌اند؟
حمال مرده در همه شهری جدا بود
هر شغل را برای کسی آفریده‌اند
برزد بروت و گفت که تا ما شنیده‌ایم
حمایان همیشه نجاست کشیده‌اند^{۲۹}

يقول: في يوم من الأيام مات أمير في إصفهان وكان من
أصلا بملوك العراق. فرأيت الجنازة على كتف جماعة من
الحمامين، فعجبت من عملهم، فسألت في نفسي لماذا حملوا
جنازته وماذا رأوا منه سماحة وجوداً؟ ثم سألت من رجل آخر
بأى سبب هؤلاء الجماعة يحملون جنازة الأمير؟ ثم قلت له إن
حمل الجنازة من عمل الآخرين لا الحماليين. فأجابني إننا سمعنا
مثلاً فهو: حمال الأرجاس والأنحاس حمالي!!!

نيران الهجاء تشتعل، حينئذ انبرى المهاجرون يملأون أوقات الناس بأهائجهم، وسرعان ما تحولوا بها الى نقائص مثيرة^{٢٨}.
إن النقائص كانت مناظرات او مساجلات بين المتناظرين وكان الغرض منها تسليية الجماعات العربية الفارغة عطلة بعد هدوء حركة الفتوح الواسعة.
الهجاء الاجتماعي هو الذي يعبر عن اختلاف المقاييس الاجتماعية ويبين حقد الفرد على المجتمع، لا يكتفي بالتعرض للفرد الواحد، بل انه يتعرض للمجتمع بكامله ولاخلاقه ومبادئه وقيمه. نشهد مظاهر هذا الهجاء في هجاء ابن الرومي والمتنبي.

لعل البعد الاجتماعي ظاهر في هذه الابيات:

... نحن أحياء على الارض وقد

خسف الدهر بنا ثم خسف

اصبح السافل مناعالياً

وهوى أهل المعالي والشرف

رب أنصفني من الدهر فما

لي الا منه بك منتصف ...^{٢٩}

يشير المتنبي في الابيات التالية الى اختلاف المقاييس، والى انعدام القيم والأخلاق حتى صار العالم غنياً والحازم وغداً، والكريم كلباً، والبصير اعمى، والشجاع قرداً:
أذم الى هذا الزمان أهيله

فاعلمهم فدم وأحزمهم وغد

واكرمهم كلب وأبصرهم عم

وأشهدهم فهد وأشجعهم قرد^{٣٠}

نظرة خاطفة الى الهجاء الاجتماعي في الادب الفارسي تبين ان الشاعر دائماً يشكو من جهل عامة الناس وانحطاط مجتمعه وانغماس حكامه في الترف، ظلم الحكام على المجتمع والرياء والارتشاء وكساد سوق الشعر وعدم اعطاء الصلة وتعلل الممدوح في اعطاء وعدم اعتناء المجتمع والحكام بالشاعر والفقر والجوع الفوارق الموجودة بين طبقات الناس و ...
يصف ناصر خسرو الحياة الاجتماعية في خراسان:

بخاصة تو اي نحس خاك خراسان

پر از مار و کزدم یکی پارگینی

برآشفته اند از تو ترکان نگویی

میان سگان در، یکی ارزیننی

امیرانت اهل فسادند و غارت

فقیهانت اهل می و ساتکینی

مکان نیستی نه تو دنیا نه دین را

کمینگاه ابلیس شوم لعینی^{٣١}

يقول: يخاطب الشاعر أرض خراسان ونحوستها خاصة لأن هذه الديار بسبب ظلم الكثير من ناحية الأمراء و الملوك أصبحت مستنقعة جمعت فيها المياه الملوثة تتولد منها الحيات والعقارب وأيضاً بسبب كثرة الظلمة يا أرض خراسان إن الأتراك قد غضبوا منك، هل تقولين: أدخلني بين الكلاب لأتأك شيئاً رخيصاً؟ أن أمراءك وولاتك فاسدة غائرة، وإن فقهاءك أهل الخمر والملاهي. أنت مأوى الشيطان اللعين المنحوس والدنيا مأوى الكرامة.

يصور انوري شاعر الهجاء في القرن السادس احوال مجتمعه:

اي خواجه مكن تا بتوانی طلب علم

كاندر طلب راتب هر روز بماني

رو مسخرگی پیشه کن و مطربی آموز

تا داد خود از كهتر و مهتر بستانی^{٣٢}

يقول: يخاطب الشاعر الإنسان الذي يظماً في طلب العلم فينهاه منه، لأنه كل يوم مضطرب و فقير ولا يزال في طلب الرزق، إنه يأمره أن يشترك إلى السخرية والاستهزاء حتى يكون مطرباً أو مغنياً، وبسبب هذا يقدر أن يأخذ حقه من هذا الطريق.

والمونوچهری:

روزگاری کان حکیمان و سخنگویان بدند

بود هر يك را به شعر نغر گفتن اشتھی

اندر این ایام ما بازار هزل است و فسوس

کار بوبکر ربابی دارد و طنز جحی^{٣٣}

يقول: يتذكر الشاعر أياماً كان يعيش الحكماء والمتكلمون فيها وهم منشدون الأشعار ما يلين بها لكن في أيامنا، الناس متلاعبون بالملاهي والسخریات، وإن سوق أبي بكر الرباب وطنز حبی رائجان في المجتمع.

٤- نفسه الشاعر

نفسية الشاعر كانت من بواعث الهجاء في الاديين الفارسي والعربي، لو تتبعنا تاريخ الهجائن في الآداب المختلفة لرأيناهم قد قاسوا من الحياة وحقرها في نظرهم، وجعلهم يحقدون على كل صاحب نعمة يعيش في سعادة وهناء، كان الخطيئة دميم الخلقة مغمور النسب وكان جرير متواضع النشأة والنسب وكان بشار مشوه الخلق وكان ابوه مولى مهيناً وكان الجاحظ اسود قصيراً دميماً، ولو تتبعنا شعراء الموالی لوجدنا هم في معظمهم هجائن، منهم ابوعطاء السندي، زياد الاعجم واسماعيل ابن يسار، ابوالعباس الاعمي وبشار.

السنائي كان قبيح المنظر، الانوري والسوزني والحقاني كانوا ضيعي الاصل والنسب، عبدالرزاق الاصفهاني كان عيباً يقول:

گویند کج زبانه کج باش گو زبان

چو هست در معانی و در لفظ استوار

طرف کلاه خوبان خود کج نکوتر است

ابرو و زلف دلبر، کج بهترو دوتا^{٣٤}

يقول: إذا اقممت من قبل الناس باعوجاج كلامي ولساني، لا أبالي ولا ألتفت بهم لأن كلامي محكم لفظاً ومعنى وإنني فصيح بليغ لا أتكلّم إلا بملاحظة لساني في اخراج لفظ يتضمن معنى البليغ.

الشاعر الذي يلتزم في اشعاره للفخر بنفسه، من الطبيعي ان يلتزم للفخر فيه بالهجاء لأنه ليس سوى وجه اخر من الفخر، انه الفخر السليبي.

يقول الحقاني:

نیست اقلیم سخن را بهتر از من پادشاه

درجهان ملک سخن راندن مسلم شد مرا

من قرین گنج و اینها خاک بیزان هوس

من چراغ عقل و اینها روزکوران هوا^{٣٥}

يقول: إن الحقاني يعتقد هو صاحب اللسن والكلام وإنه أشعر شعراء عصره و يقول إن إقليم الكلام تحت سلطتي ويدي وهو الذي صاحب الكثر أو مجاوره وسائر شعراء عصره يغربلون التراب ليصلوا إليه ولا يصلون به إنه هو السراج المنير وصاحب اللب والعقل. وإن قرناه و زملاءه الرجال الحمق. او يقول:

سخن دانی به که ختم است؟ می دانی و می پرسی

فلک را بین که می گوید: به خاقانی! به خاقانی!^{٣٦}

يقول: مَنْ الأديب؟ وبمَن يُختم الأدب؟ ثم يجيب: خُتم الأدب والكلام بالحقاني أنا لا أقول بل الأفلاك تقول كذا؟ يقول المتنبي:

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

واسمعت كلماتي من به صمم^{٣٧}

او:

وما الدهر الا من رواة القصائدي

اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا^{٣٨}

نتائج البحث

الهجاء في المعاجم اللغوية له نفس الدلالة في الأدب، وهي تقبيح صورة فرد أو جماعة أو عادة من العادات أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود.

الهجاء كان قديماً في الشعر العربي وتطور معه، كما أنه كان مرتبطاً بأناشيد دينية فكان الهجاء كذلك. كان للقبيلة أثرها في تطور موضوعات الشعر الجاهلي وصارت باعثاً من بواعث الهجاء حيث نجد أن الهجاء أوجدته المنافسات القبلية نحو: النزاع بين الفرد والقبيلة أو بين الفرد ورئيس القبيلة أو بين القبائل.

المنافرات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي كانت سبباً في تطور شعر الهجاء والحق أنها كانت صورة بدائية لفن الهجاء وكانت تعتمد على المثالب الشخصية.

اتضح معالم الأدب الفارسي في القرنين السادس والسابع الهجريين، وكان شعر الهجاء في هذين القرنين شعراً فردياً خلقياً، بعيداً عن الفحش، قريباً من الواقع، وكان ينظر إلى الطبقات السفلى من المجتمع. في القرن السادس اتخذ طابعاً جديداً وهو القصائد المطولة في ذم طبقات الناس أو في ذم مدينة تسمى بـ " شهر آشوب " من أشهر شعراء هذا النوع هو مسعود سعد سلمان والخير البلقاني لا نجد مثيل هذا النوع من الشعر في الأدب العربي إلا أن العصر الأموي كان يعرف نوعاً من هذا الهجاء بإسم هجاء الأقاليم.

هناك بواعث أخرى أدت إلى ظهور الشعر الهجاء في الأدب الفارسي منها: الفقر والحرمان وكساد سوق الشعر، طمع الشاعر والحروب المستمرة في عهد السلاجقة، بخل الممدوح في إعطاء الصلة و

المشاجرات التعليمية التي كانت رائجة بين الشعراء الإيرانيين كانت سبباً في انتشار الهجاء في الأدب الفارسي، مثلما نجد عند سوزني السمرقندي والسنائي والمعزي والخاقاني و صار الهجاء في الأدب الفارسي في أواخر قرن السادس وأوائل السابع وسيلة من وسائل التعليم كما نجد عند المولوي.

كان أثر الدين في نمو الهجاء بارز في الأديين، النزاع الديني والفلسفي كان الباعث الأول في شعر الهجاء في الأديين الفارسي والعربي، مثلما نجد في شعر المعزي والخاقاني وسوزني السمرقندي وناصر خسرو. وصل هذا الجدل الديني فيهما إلى أشده بين الفرق الإسلامية وهذا التعصب جعل الشعراء ينسبون مهجويهم لفرقة منبوذة في المجتمع.

استفحل الهجاء السياسي في الأديين الفارسي والعربي وشاع الهجاء السياسي منه: هجاء الشيعة والولاة والخوارج وأخذ هذا النوع طابعاً شعوبياً في الأدب العباسي. نطالع في الأدب الفارسي هذا النوع من الهجاء في دواوين كثير من الشعراء نحو: منجيك، ناصر خسرو، السنائي والسعدي الشيرازي.

النظم الإجتماعية في المجتمع كانت سبباً في سخط الشعراء عليها وفي انتشار الهجاء الإجتماعي الذي يعبر عن اختلاف المقاييس الإجتماعية يبين حقد الفرد على المجتمع، لا يكتفي هذا الهجاء بالتعرض للفرد الواحد بل إنه يتعرض للمجتمع بكامله، ولأخلاقه و مبادئه نشهد مظاهر هذا الهجاء في هجاء ابن الرومي والمتنبي وفي الأدب الفارسي في هجاء ناصر خسرو والأنوري والمنوچهري و

الهوامش

- [١] يعقوب، اميل بديع وميشال عاصي. المعجم المفصل في اللغة والأدب، دارالعلم للملأين، بيروت، ٢: ١٢٨١.
- [٢] راجع: ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر، دارالمكتبة العلمية، بيروت، ص ١٠.
- [٣] انيس، ابراهيم و اخرون. المعجم الوسيط، ط٢، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ص ٩٧٥.
- [٤] ابن منظور، مكرم محمد. لسان العرب، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢، ٤٤: ١٥.
- [٥] ابن منظور، مكرم بن محمد. نفس المصدر، ٤٤: ١٥ والفيروزابادي، مجد الدين. قاموس المحيط، دارالعلم للجميع، بيروت، ٤٠٢: ٤ و ٤٠٣.
- [٦] ابن منظور، مكرم بن محمد. نفس المصدر، ٤٦: ١٥.
- [٧] ابن عباد، الصاحب. المحيط في اللغة، التحقيق: محمد حسن ال ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤ ٢٢: ٤.
- [٨] زرین کوب، عبدالحسين. دو قرن سکوت، چاپ ٥، انتشارات جاویدان، تهران، ١٣٥٥، ص ١٢٥.
- [٩] راجع: ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي «العصر الاسلامي»، ط ٦، دارالمعارف، مصر، ص ١٧٩.
- [١٠] البستاني، فؤاد افرام. المحاني الحديثة، ط ٣، دارالمشرق، بيروت، ٣: ٥٢.

إصبر يزيد فقد فارقت ذامقة
و اذكر حباء الذي بالملك حاباكا
لا رزء أعظم في الاقوام نعرفه
كمثل رزئك او عقي كعقبانا
و هي في العقد الفريد ٣ : ٢٥٤.
[١٨] محمد حسين، محمد. نفس المصدر. ص ٤٩ (نقلاً عن
العقد الفريد. ٦ : ١٦٨) سجع الخد (كفرح) سجحاً و
سجاجة: سهل و لان و طال في اعتدال و قلة اللحم.
[١٩] البستاني، فؤاد افرام. نفس المصدر، ٣ : ١٧. النزق:
السقاء يوضع فيه الشراب، العود: آلة للطرب المعروفة.
[٢٠] البستاني، فؤاد افرام. نفس المصدر، ٣ : ٧٢.
[٢١] نيكوبخت، ناصر. هجو در شعر فارسي، چاپ اول،
انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ١٣٨٠، ص ١٣٧ (به
نقل از محمود مدبري، شرح احوال شعراء بدون ديوان ص
٣٤). غاشيه: زين پوش، جناخ: دامنه زين اسب، تسمه
ركاب، طاق پيشين اسب.
[٢٢] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ١٣٧.
[٢٣] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ١٣٧.
[٢٤] ناصر خسرو. نفس المصدر، ص ٤٣١.
[٢٥] ناصر خسرو. نفس المصدر، ص ٦٠.
[٢٦] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ١٤٥.
[٢٧] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ١٣٨. (كُرم: غم
و اندوه سخت)
[٢٨] ضيف، شوقي. نفس المصدر، ص ٢٤.
[٢٩] راجع: الحاوي، ايليا. نفس المصدر، ص ٥٧٨.
[٣٠] المتني، ابوالطيب. ديوان المتني، دار صادر، بيروت، ص
١٩٨.
[٣١] ناصر خسرو. نفس المصدر، ص ١٦.
[٣٢] حلي، علي اصغر. مقدمه اي بر طنز و شوخ طبعي
در ايران. چاپ دوم، مؤسسه پيك ترجمه و نشر، تهران،
ص ٤٩.

كان موسي الهادي قد عزم على الفتك بالبرامكة، ولكنه مات
قبل ان ينال مراده منهم، فأبو نواس يشير الي هذا و يقول
انه لولاحظه الشقي لما مات موسى قبل ان ينكب البرامكة،
و لما كان هؤلاء بقوا احياء فهو لا يزال يراهم جميعاً.
يعقوب هو يعقوب بن داوود كان قد استوزره المهدي. ثم
كثرت فيه الوشايات فحبسه في بئر و بقي فيها الى ان
أخرجه الرشيد منها، في عهد خلافته و قد عمي.
الربيع هو الربيع بن يونس استوزره ايضاً المهدي ثم قتله بالسم.
[١١] المعري، ابو العلاء. اللزوميات، ط الاولى، دار طلاس
للدراستات و الترجمة و النشر، بيروت، ١٩٨٦، ١ : ٤٤.
الاعيار ج غير و هو الحمار، يقول لو كان كل ما يتطلب
في التقى أن يكون أبله غبيا لكان الحمار احمق شيء بأن
يوصف بالتقوي.
[١٢] خاقاني، أفضل الدين. تحفة العراقيين، تصحيح: يحيي
قريب، چاپ ٢، انتشارات شركت سهامی كتابهای
حيی، تهران، ١٣٥٧، ص ٢٣٥ - ٢٣٧.
[١٣] سمرقندي، سوزني. ديوان اشعار، تصحيح: ناصر الدين
شاه حسيني، چاپ اول، اميركبير، تهران، ١٣٣٨، ص
٤٦٨. (نغوشاك: پيرو دين مانوي).
[١٤] ناصر خسرو قبادياني، ديوان اشعار، تصحيح: سيد
نصرالله تقوي و به كوشش مهدي سهيلي، مؤسسه
مطبوعات اميركبير، تهران، ١٣٣٥، ص ١٥.
[١٥] الحاوي، ايليا. فن الهجاء، دارالثقافة، بيروت، ص
١٨٤.
[١٦] البستاني، فؤاد افرام. نفس المصدر، ص ١٨٤.
[١٧] محمد حسين، محمد. الهجاء و الهجؤون في صدر
الاسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١، ص ٤٣ و
٤٤. (نقلاً عن مروج الذهب، ٢ : ٧٠) و عبدالله بن همام
السلولي هو صاحب الأبيات المشهورة التي جمع فيها بين
تهنئة يزيد بالخلافة و تعزيتة في وفاة ابيه معاوية التي يقول
فيها:

- [۳۳] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ۲۵۳.
- [۳۴] نيكوبخت، ناصر. نفس المصدر، ص ۱۹۲.
- [۳۵] خاقاني، افضل الدين. ديوان، انتشارات زوار، تهران، ۱۴۴۸، ص ۱۷ و ۱۸.
- [۳۶] خاقاني، افضل الدين. ديوان، انتشارات زوار، تهران، ۱۴۴۸، ص ۴۱۴.
- [۳۷] المتنبي، ابو الطيب. نفس المصدر، ص ۳۴.
- [۳۸] المتنبي، ابو الطيب. نفس المصدر، ص ۵۰.
- المصادر**
- [۱] ابن جعفر، قدامة. نقد الشعر، دارالمكتبة العلمية، بيروت.
- [۲] ابن عبدربه. العقد الفريد، ط الاولى، دارمكتبة الهلال، بيروت، ۱۹۸۶.
- [۳] ابن منظور، مكرم بن محمد. لسان العرب، ط ۲، دار احياء التراث العربي، بيروت، ۱۹۹۲.
- [۴] انيس، ابراهيم واخرون. المعجم الوسيط، ط ۲، انتشارات ناصر خسرو، طهران.
- [۵] البستاني، فؤاد افرام. المجاني الحديثة، ط ۳، دارالمشرق، بيروت.
- [۶] بلحاج، كاملي. «مدخل الى القصيدة الجاهلية قراءة في النشأة و التطور»، مجلة الموقف الادبي، العدد ۳۹۱، تشرين الثاني ۲۰۰۳ www.awu-dam.org
- [۷] الحاوي، ايليا. فنّ الهجاء، دارالثقافة، بيروت.
- [۸] حلي، علي اصغر. مقدمه‌ای بر طنز و شوخ طبعی در ایران، چاپ دوم، مؤسسه پیک و ترجمه و نشر، تهران.
- [۹] خاقاني، افضل الدين. تحفة العراقيين. تصحيح: يحيى قريب، چاپ ۲، انتشارات شرکت سهامی کتابهای جیبی، تهران، ۱۳۵۷.
- [۱۰] خاقاني، افضل الدين. ديوان، تصحيح: ضياء الدين سجادی، انتشارات زوار، تهران، ۱۴۴۸.
- [۱۱] دودپوتا. ع. م. تأثیر شعر عربي بر تکامل شعر فارسی، چاپ اول، صدای معاصر، تهران، ۱۳۸۲.
- [۱۲] زرین کوب، عبدالحسين. دو قرن سکوت، چاپ ۵، انتشارات جاويدان، تهران، ۱۳۵۵.
- [۱۳] سمرقندی، سوزنی. ديوان اشعار، تصحيح: ناصرالدين شاه حسینی، چاپ اول. اميرکبير، تهران، ۱۳۳۸.
- [۱۴] ضيف، شوقي. تاريخ الادب العربي، (العصر الاسلامي) ط ۶، دارالمعارف، مصر.
- [۱۵] ضيف، شوقي. تاريخ الادب العربي، (العصر الجاهلي)، ط ۱۷، دارالمعارف، مصر.
- [۱۶] ضيف، شوقي. تاريخ الادب العربي، (عصرالدول و الامارات، الجزيرة العراق، ايران)، ط ۳، دارالمعارف، مصر.
- [۱۷] قريب، بدرالزمان. «جست و جو در سنت ادبي ايران باستان»، ماهنامه کتاب ماه ادبيات و فلسفه، سال پنجم، شماره ۸، خرداد، ۱۳۸۲.
- [۱۸] المتنبي، ابوالطيب، ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت.
- [۱۹] محمد حسين، محمد. الهجاء و المهاؤون في الجاهلية، ط ۳، دارالنهضة العربية، بيروت، ۱۹۷۰.
- [۲۰] محمد حسين، محمد. الهجاء و المهاؤون في صدر الاسلام، دارالنهضة العربية، بيروت، ۱۹۷۱.
- [۲۱] ناصر، خسرو قبادياني. ديوان اشعار، تصحيح: سيدنصرالله تقوي و به كوشش مهدي سهيلي، مؤسسه مطبوعاتي اميركبير، تهران، ۱۳۳۵.
- [۲۲] نيكوبخت. ناصر. هجو در شعر فارسي، چاپ اول، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ۱۳۸۰.
- [۲۳] يعقوب، اميل بديع وميشال عاصي. المعجم المفصل في اللغة و الادب، دارالعلم للملایين، بيروت.

بررسی مقایسه‌ای میان انگیزه‌های هجا در ادبیات عربی و فارسی

نصراالله شاملی^۱

تاریخ دریافت: ۱۳۸۳/۹/۱۴

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۵/۲/۲۴

از دیر زمان هجا یا هجوگویی یکی از اغراض شعری به شمار می‌آمده است. این امر بر تقبیح فردی یا جمعی تکیه داشته است. گاهی نیز از عاداتی اجتماعی یا قبیله‌ای با مظهری از مظاهر زندگی را شاعر به باد هجو می‌گیرد. بنابراین هجا عبارت است از تعبیری ادیبانه از کسی برای اینکه او را مورد هجو قرار دهد. انسان در طبیعت خود پیوسته دارای صفات گوناگون است گاه هجا است و می‌خواهد از دیگران انتقام بکشد. انتقام گاهی با تیر و کمان و نیزه و شمشیر بوده و زمانی با سخنان هجوگونه و ناسزا است. در این مقاله سعی ما بر آن است انگیزه‌های کلی هجا در ادب عربی و فارسی را به تصویر بکشیم و موارد مشترک هجا میان هر دو زبان را بیان کنیم و تفاوت‌های هر دو را بازگوییم. این مقارنه ادبی از نظر زمانی درست نمی‌باشد. زیرا هجو در ادب عربی (به‌ویژه شعر) از دیر زمان معمول بوده و سابقه آن به دوران جاهلیت (قبل از اسلام) کشیده می‌شود در حالی که در ادب فارسی هجوگویی از قرن چهارم به بعد رواج یافته است. لکن مقایسه هجو میان هر دو زبان، تفاوت‌های دیگری که ریشه در فرهنگ هر دو را دارد در ترازوی سنجش قرار می‌دهیم.

واژگان کلیدی: هجا، ادب، فارسی، عربی، بواعث

۱. استادیار دانشگاه اصفهان